الرِّســـالة ٣٤٥

كَمَا يَشتَـــاقُ الإيَّـــلُ

(Arabic – As the deer pants for streams of water)

أحبّائِي.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **كمَا يَشتـــاقُ الإيَّـــلُ**

ومِنْ سِفر المَزَامير نقرَأ العَدَدَيْن الأوّلَ والثانِي مِنَ المَزْمُور الثانِي والأرْبَعين:

"كمَا يَشتاقُ الإيّلُ إلى جَداول المياهِ. هكذا تشتاقُ نفسِي إليكَ يَا اللهُ. عَطِشَتْ نفسِي إلى اللهِ. إلى الإلهِ الحَيِّ. متى أجِيءُ وأترَاءَى قدّامَ الله".[١]

تعيشُ الأيَائِلُ فِي الغَابَاتِ والبَرَارِي. والأيَائِلُ ومُفرَدُها الإيّلُ هِي الوُعُولُ ومُفرَدُهَا الوَعْلُ. وتتميّزُ بالسّرْعَةِ الفائِقة. قدْ تصْبرُ على الجُوع إذ يُمكِنهَا أنْ تقتاتَ على مَا يُصَادِفهَا من أعْشَابٍ جَافةٍ فِي البَرِيّةِ دُونَ بَذل مَجْهُودٍ كَبير. ولكنّهَا لا تصْبرُ على العَطش لأنّهَا لا تجدُ لِلمَاء بَديلاً إذا عَطِشَتْ. ويَبْدُو أنّ صَاحِبَ المَزْمُور لفتَ نَظرَهُ يَوْماً مِنَ الأيّام كانَ حَرّهُ شَديداً أنْ رَأى إيّلَ فِي حَالةِ ذعْر وقلق إذ اشتدّ عليْهِ الظمَأ. فبَدَأ الإيّلُ يتلفتُ يَميناً ويَساراً. ثمّ إلى الخَلفِ ثمّ حَوّل بَصرَهُ إلى الأفق البَعيدِ أمَامَهُ. وإذا بِهِ يَرَى سَرَاباً فحَسبَهُ مَاءً فاندَفعَ مُسْرعاً إليْهِ.[٢]

إنّي أتخَيلُ صَاحِبَ المَزْمُور أخَذ يُتابعُ تحرّكَاتِ الإيّل بشَغَف. ومِنَ المُؤكّدِ أنّ الإيّلَ أخَذ يَصيحُ مُتطلِعاً إلى رُفقائِهِ مِنَ الأيَائِل. لعلهَا تشَاركهُ السَعْيَ ورَاءَ جَدْولٍ مِنْ جَداول المياهِ التِي اعتادُوا اللجُوءَ إليْهَا فِي البَرِّيّةِ. فِي البقعَةِ المُتواجدينَ بهَا خَاصّة إذا شَحّ المَطرُ. ومِنْ عَادَةِ الأيَائِل أنّهَا تجْرِي دُونَ توقفٍ كلمَا اشتدّ ظمؤهَا. ولا تتوقفُ عَن الجَرْي مَهْمَا أصابَهَا التعَبُ والإجْهَادُ. لأنّهَا بحَاسّتِهَا الغَريزيّةِ تعلمُ أنّهَا إنْ لمْ تعثرْ على المَاء فهِيَ هَالِكة لا مَحَالة. ولنْ تبقى حيّة فِي حَالتِهَا تِلكَ لأمَدٍ طويل. لِذلِكَ تراهَا تبْذلُ أقصَى جُهْدَهَا. بلْ تستنفِدُ كلّ مَا عِنْدَهَا مِنْ طاقة. حتى تصِلَ إلى يَنبُوع مَاءٍ أوْ جَدْولٍ ترتوى مِنْهُ.[٣]

يقولُ يُوحنّا الرّسُولُ فِي رسَالتِهِ الأولى عَنْ مَحبتِنَا للهِ: "نَحْنُ نحبّهُ لأنّهُ هُوَ أحَبّنَا أوّلاً". فالمُؤمِنُ تعلّمَ كيفَ يُحِبّ اللهَ لأنّهُ هُوَ أحَبّنَا أوّلاً. والتعْبيرُ عَنْ عَاطِفةِ الودِّ والمَحَبّة غَريزَة مَطبُوعَة فِي الإنسَان. فهِيَ ليْستْ مَصْنوعَة. والتعْبيرُ عَنْهَا يكونُ بالعَمَل أوْ بالكلِمَات. ولا يَصْدُقُ التعْبيرُ ولا يُصدَقُ إلا إذا كانَ بهمَا مَعاً. ولا يَدُومُ التآلفُ بَيْنَ الإنسَان وأخيهِ الإنسَان إلا بالمَحَبّةِ والودِّ المُتبَادَلَيْن. ولا تقومُ عَلاقة بَيْنَ الإنسَان وخَالِقِهِ إلا إذا تأسّسَتْ على المَحَبّة. ومِصْدَاقاً لذلِكَ مَا سَجّلهُ الكِتابُ المُقدّسُ أنّ الرّبّ يَسُوعَ حينَ سُئِلَ عَن الوَصيّةِ العُظمَى كانَتْ إجَابتهُ: "تحبّ الرّبّ إلهَكَ مِنْ كلِّ قلبكَ. ومِنْ كلِّ نفسِكَ. ومِنْ كلِّ فِكركَ. هذِهِ هِيَ الوَصيّة الأولى والعُظمَى". وحَديثنَا اليَوْمَ يَتنَاولُ تأمّلاتٍ فِي الأسَاليبِ الرّائِعَةِ التِي عَبّرَ بهَا رجَالُ اللهِ عَنْ عُمْق مَحبتِهِمْ للهِ وتلذذِهِمْ بعِشْرَتِهِ.[٤]

إنّ كاتِبَ المَزْمُور وَهُوَ فِي حَالةِ الظمَأ الرّوحِيّ إلى التوَاجُدِ فِي حَضْرَةِ الرّبِّ. يُعَبِّرُ عَنْ أشْوَاقه وتعَطشِهِ إلى المَجيء ليترَاءَى أمَامَ الإلهِ الحَيِّ. ليتمَتعَ باللحَظَاتِ الثمينَةِ الفريدَةِ وَهُوَ يُنَاجي من أحبّه فضلا. يُمَاثِلُ الإيّلَ المُتلهفَ إلى قطرَاتِ المَاء ليَرْوِى ظمَأهُ. إنّهُ تعْبيرُ بليغ عَنْ تعَطشِهِ إلى تِلكَ اللحَظات. ليتذوّقَ فيهَا سَعَادَة لا توصَفُ حينَ يشْعُرُ بالسكينَةِ وَهُوَ مُنسكِبٌ أمَامَ القدير. ليَرتوى بعُذوبَةِ وَحَلاوَةِ البقاء بالقرْبِ مِنَ العَرْش المَجيدِ.[٥]

إنّي أتخَيلُ كاتِبَ المَزْمُور وَهُوَ يَتطلعُ بحنين واشتيَاق إلى السّمَاء. وقدْ اكتحَلتْ عَيْنَا إيمَانِهِ برُؤيَةِ بَسْمَة الرِّضَا مُرتسِمَة على وَجْهِ رَبِّ العَرْش. فانتعَشَتْ رُوحُهُ بنور سَاطِع أشْرَقَ عليْهِ مِنَ المُحيّا السَنِيِّ. ورَأى أنّ

---

[١] سِفر المزامير ٤٢: ١ – ٢ ، استمع إلى الإنجيل
[٢] إنجيل يوحنا ٤: ١٣ – ١٤
[٣] إنجيل يوحنا ٧: ٣٧
[٤] رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤: ١٩ ، إنجيل متى ٢٢: ٣٦ – ٤٠
[٥] رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ١٢: ٢ – ٤

أفضلَ مَا يُشَبِّهُ بهِ أحَاسيسَهُ هُوَ الإبِلُ الظمآنُ الذِى به حَنينٌ وشَوقٌ ولهفة للارتوَاء ولمْ يَجدْ صَاحِبُ المَزْمُور أرْوَعَ مِنْ تِلكَ الكلِمَاتِ المُعَبِّرَةِ ليَستهلّ بهَا مَزْمُورَهُ. فإذا بهِ يَشدُو مترنِّماً بأنشُودتِهِ قائِلا: "كمَا يَشتاقُ الإبِلُ إلى جَداول الميَاهِ. هكذا تشتاقُ نفسِى إليكَ يَا اللهُ. عطِشَتْ نفسِى إلى اللهِ. إلى الإلهِ الحَىِّ. مَتى أجِيءُ وأترَاءَى قدّامَ اللهِ".[1]

لسْتُ أدْرى إلى أىِّ مَدَى كانَ استِمتاعُ الأتقيَاءُ فِى مَحْضَرِ الرّبِّ. فإنّى أجدُ لذة حينَ أقرَأ مَا فاضَتْ بهِ قلوبُهُمْ وسَطرُوهُ بأقلامِهِمْ. ويَطيبُ لِى أنْ أختارَ بَعْضاً مِمّا سَجّلوهُ. وأبْدأ بدَاوُدَ النَبىِّ وأقتبسُ شَيئاً مِنْ مَزْمُورِهِ الخَامِس والأرْبَعين بَعْدَ المِائةِ قالَ فيهِ: "أرفعكَ يَا إلهى المَلِكَ وأبَارِكُ اسْمكَ إلى الدّهْر والأبَدِ. فِى كلِّ يَوْم أبَاركَكَ وأسَبِّحُ اسمَكَ إلى الدّهْر والأبَدِ. عَظيمٌ هُوَ الرّبّ وحَميدٌ جداً وليْسَ لِعَظمتِهِ استقصَاءٌ. وختمَ مَزْمُورَهُ قائِلاً: الرّبّ قريبٌ لكلِّ الذينَ يَدْعُونَهُ. الذينَ يَدْعُونَهُ بالحقِّ. يَعْمَلُ رضَى خَائفيهِ ويَسْمَعُ تضرّعَهُمْ فيُخلصُهُمُ. يَحفظ الرّبّ كلّ مُحبِّيهِ ويُهلِكُ جَميعَ الأشْرَار. بتسْبيح الرّبِّ يَنطِقُ فمِى. ولِيُبَارِكْ كلّ بشَر اسْمَهُ القدّوس إلى الدّهْر والأبَد".[2]

وأقتبسُ شَيئاً مِنْ ترْنيمَةٍ لِمُوسَى سَبّحَ بهَا الرّبّ الذِى خلصَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ مِصْرَ واجتازَ شَعْبُ اللهِ البَحْرَ الأحْمَرَ كمَا فِى اليَابسَة. الأمْرُ الذِى لمّا شَرَعَ فيهِ فرْعَوْنُ ورجَالهُ غَرقوا. فبسِفر الخُرُوج جَاءَتْ ترْنيمَة مُوسَى: "أرَنّمُ لِلرّبِّ فإنّهُ قدْ تعَظمَ. الفرَسُ ورَاكِبُهُ طرحَهُمَا فِى البَحْر. الرّبّ قوّتِى ونَشيدِى. وقدْ صَارَ خَلاصِى. هذا إلهى فأمَجّدُهُ. إلهُ أبى فأرفعُهُ. الرّبّ رَجلُ الحَرْب. الرّبّ اسْمُهُ. مَركبَاتُ فِرْعَوْنَ وجَيْشُهُ ألقاهُمَا فِى البَحْر. فغَرقَ أفضلُ جُنودِهِ المَرْكبيّةِ فِى بَحْر سُوفَ. تغَطيهِمُ اللجَجُ. قدْ هَبَطوا فِى الأعْمَاق كحَجَر. يَمينكَ يَا ربّ مُعْتزّة بالقدْرَةِ. يَمينكَ يَا رَبّ تحطِمُ العَدُوّ. وبكثرَةِ عَظمَتِكَ تهْدِمُ مُقاوميكَ. ترْسِلُ سَخْطكَ فيَأكلهُمْ كالقشِّ".[3]

وأقتبسُ شَيئاً مِنْ سِفر إشَعْيَاء الأصْحَاح الخَامِس والخَمْسين عَنْ إلهنَا الغَافِر وَعَن كلمَتِهِ المُقتدِرَةِ. "اطلبُوا الرّبّ مَا دامَ يُوجدُ. ادْعُوهُ وَهُوَ قريبٌ. ليترك الشِّرِيرَ طريقهُ وَرَجُلُ الإثم أفكارَهُ. وليَتبْ إلى الرّبِّ فيَرْحَمَهُ. وإلى إلهنَا لأنّهُ يُكثِرُ الغُفرَانَ. لأنّ أفكارى ليْسَتْ أفكاركمْ. ولا طرُقكمْ طرُقِى يقولُ الرّبّ. لأنّهُ كمَا علتْ السّمَوَاتُ عَن الأرْض هكذا علَتْ طرُقِى عَنْ طرُقِكمْ وأفكارى عَنْ أفكاركمْ. لأنّه كمَا يَنزلُ المَطرُ والثّلجُ مِنَ السّمَاء ولا يَرْجعَان إلى هنَاكَ بلْ يَرْوِيَان الأرْض ويَجْعَلانِهَا تلِدُ وتنبتُ وتعْطِى زَرْعاً لِلزَارع وخُبْزاً للآكِل. هكذا تكونُ كلمَتِى التِى تخْرُجُ مِنْ فمِى. لا ترْجعُ إلىّ فارغَة. بلْ تعْمَلُ مَا سُررْتُ بهِ. وتنْجَحُ فيمَا أرْسلتهَا لهُ".

ثمّ أقتبسُ الأخْبَارَ السّارّةَ مِنْ رسَالةِ بُولس الرّسُول الأولى إلى مُؤمِنِى كورُنثوس الأصْحَاح الخَامِس عَشَر إذ يقولُ: "إن كانَ لنَا فِى هذِهِ الحيَاةِ فقط رَجَاءً فِى المَسيح فإنّنَا أشقى جَميع النّاس. ولكن الآنَ قدْ قامَ المَسيحُ مِنَ الأمْوَاتِ وصَارَ بَاكورَة الرّاقِدين. فإنّهُ إذِ المَوْتُ بإنسَان بإنسَان أيْضاً قيَامَة الأمْوَات لأنّهُ كمَا فِى آدَمَ يَمُوتُ الجَميعُ هكذا فِى المَسيح سَيَحْيَا الجَميعُ ولكنّ كلّ وَاحِدٍ فِى رتبَتِهِ المَسيحُ بَاكورَة ثمّ الذينَ لِلمَسيح فِى مَجيئِهِ".

ثمّ أخيراً أقتبسُ شَيئاً مِمّا كتبَهُ يُوحنَا الرَائِى فِى رُؤيَاه الأصْحَاح الثانِى والعِشْرينَ: "وأنَا يُوحَنا الذِى كانَ يَنْظرُ ويَسْمَعُ هذا. وَحينَ سَمِعْتُ ونَظرْتُ خَرَرْتُ لأسْجُدَ أمَامَ رِجْلىّ المَلاكِ الذِى كانَ يُرينِى هذا. فقالَ لِى: انْظرْ لا تفعلْ. لأنّى عَبْدٌ مَعَكَ ومَعَ إخْوَتِكَ الأنبيَاءِ والذينَ يَحفظونَ أقوَالَ هذا الكتاب. اسْجُدْ لله. وقالَ لِى لا تختِمْ على أقوَال نبُوةِ هذا الكتابِ لأنّ الوقتَ قريبٌ. وَهَا أنَا آتِى سَريعاً وأجْرتِى مَعِى لأجَازِى كلّ وَاحِدٍ كمَا يكونُ عَملهُ. أنَا الألِفُ واليَاءُ. البدَايَة والنِهايَة. الأولُ والآخرُ. طوبَى للذينَ يَصنعُونَ وصَايَاهُ. يقولُ الشّاهِدُ بهذا نَعَمْ. أنَا آتِى سَريعاً. آمينَ. تعَالَ أيّهَا الرّبّ يَسُوعُ. نِعْمَة ربَنَا يَسُوعَ المَسيح مَعَ جَميعِكمْ. آمينَ".[4]

عَزيزى القارئ.. أدْعوكَ لتشتركَ مَعِى فِى هذِهِ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوىّ.. أشكرُكَ مِنْ أجل فضل مَعْرفتِكَ. هَبنِى إلهى أنْ أعْرفكَ أكثرَ. عَمّقْ فِى دَاخِلِى كلامَكَ فهُو لِى رُوحٌ وَحَيَاة. هُوَ السِّرَاجُ لِرجلِى والنّورُ لِسَبيلِى مَا حَييتُ. أرفعُ صَلاتِى فِى اسْم يَسُوعَ البَار. مُتّكِلاً على وَعدِكَ الصَادِق. يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِى القارئ العَزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالة أو غَيرهَا ستَجدُ ذلِكَ فِى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] سفر إشعياء ٦: ١ – ٤
[2] سفر المزامير ١٤٥: ١ – ٣ & ١٨ – ٢١
[3] الرسالة إلى العبرانيّين ١١: ٢٩ ، سفر الخروج ١٥: ١ – ٧
[4] سفر إشعياء ٥٥: ٦ – ١١ ، رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ١٥: ٢٠–٢٣، رؤيا يوحنا اللاهوتى ٢٢: ٨–١٠& ١٢–١٤ & ٢٠